

## أهمية المخطوط التاريخية في الدراسات التاريخية قراءة جديدة في تاريخ المقاومة الوطنية خلال ق19م "مخطوطات مقاومة الطرق الصوفية بالزاب واحمرخندو"

أ/ عباس كحول

جامعة عنابة

إن أهمية المخطوط في البحث العلمي أساسية، خاصة الدراسات التاريخية منها، لكنها نادرة جدا، لأن أغلب مخطوطات الطرق الصوفية والزوايا تتعلق بمواضيع تغلب عليها اللغة الصوفية. فلما كنت بصدد تحضير موضوع بحثي لنيل شهادة الماجستير والموسوم بـ "دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859م"، بحثت وسألت في كل الاتجاهات عن مخطوطات ذات الصلة التاريخية بموضوع الطرق الصوفية والزوايا والمقاومة الوطنية خلال القرن 19م بالزاب الشرقي، ورغم غنى منطقة الزاب الشرقي بالمخطوطات، خاصة بحاضرتها الثقافية خنقة سيدي ناجي والأقاليم المجاورة كبلمدة ليانة. لكن كل الردود والإجابات جاءت بالنفي القاطع، فحسبهم المخطوطات المتوفرة تصب فقط في التصوف والفقهاء واللغة والقضاء والمنطق والفلك وغيرها من المواضيع، باستثناء التاريخية منها !

لكنني توصلت إلى مخطوط في التاريخ هام جدا يؤرخ لمقاومة الصادق بن الحاج بالزاب الشرقي وأحمر خندو 1858-1859م، وهو مخطوط "حكمة المغائم في البلوى في جميع النعائم" لـ: ابراهيم بن الصادق بن الحاج، وهو بحاجة إلى تقديم قبل التحقيق، رغم الإشارات الأولية السابقة إليه من خلال مجلة الأصالة، العددان 60-61، 1976، وكتيب "سي الصادق بن الحاج الانتفاضة الكبرى 1844-1859م، ورسالة ماجستير المعني بالمدخله،،،،، فما هي أهمية هذا المخطوط في البحث العلمي التاريخي؟

## مخطوطات منطقة الزيبان:

- لقد ساهم الحضور العسكري والروحي للطرق الصوفية والزوايا بالجزائر خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في مواجهة الاحتلال الفرنسي الشامل، من خلال المقاومة الشعبية المسلحة من جهة، والدفاع عن قيم الحضارة العربية الإسلامية من جهة أخرى، في وضعها من طرف الإدارة الاستعمارية حيز التشريح والدراسة الاستشرافية والمخابرتية، خرجت بتوصيات تحقيقا للقهري والترويض، ونحن احوج مانكون لوثائق(المخطوطات) الطرق الصوفية والزوايا في الفترة المذكورة، من اجل قراءة تاريخية سليمة، إلى جانب الكتابات الأجنبية على غرار (deneuveau- Brosslard- Depont- Coppolani- Louis rinn)\*

- تحتضن منطقة الزيبان<sup>(1)</sup> إرثا تاريخيا هائلا من المخطوطات بحوزة العائلات والأشخاص والهيئات، وخاصة بالزوايا [ كالمختارية<sup>(2)</sup> والعثمانية<sup>(3)</sup> ومناطق سيدي خالد<sup>(4)</sup> وخنقة سيدي ناجي وليانة<sup>(5)</sup> وغيرها ... ]، فمن حوالي الجزائر 20 ألف مخطوط - تحوز منطقة الزيبان على حوالي الفين مخطوط ، منها الخزانة العثمانية: 1509 ، سيدي موسى الخذري<sup>(6)</sup> : 50، المركز الاسلامي : 20، المختارية: صندوقين، تبيارماسين<sup>(7)</sup>: 04، مكتبة خير الدين<sup>(8)</sup>: 16، الشهيد بوريش<sup>(9)</sup>: 58، ع الباقي بليشانة: 40، ومكتبات خاصة اخرى كعبد المجيد حبة<sup>(10)</sup> والنعمي وسليمان الصيد، بحاجة إلى تكفل علمي أكاديمي حفاظا عليها وإخراجها وإتاحتها للباحثين وإنقاذها من ظروف الحفظ غير الملائمة .... وبنوه بالهيئات والأطراف التي تسعى للحفاظ عليها بدء بفهرستها منها، مجهودات الأستاذ بولعراس (الخنقة وليانة) الذي يسهر على فهرسة 230 مخطوط وغيرهم ... فيوسف حسين فهرس 500 مخطوط بالزاوية العثمانية، وسعد ع القادر له مشروع فهرسة مخطوطات الزاوية،،،

- قصتي مع المخطوطات بالزيبان، تعود إلى فترة أبحاثي المرتبطة بتحضير رسالة الماجستير الموسومة بـ " دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1849-1859 " فاتصلت حينها بالهيئات والأشخاص وسألت عن مخطوطات ذات الصلة بالدراسات التاريخية في موضوع الطرق الصوفية والمقاومة الوطنية بالمنطقة خلال ق19م، لكنهم اجمعوا على إنكار وجود مخطوطات تاريخية في الموضوع. فحسبهم المخطوطات المتوفرة تنحصر في التصوف والفقهاء والآداب والمنطق والفلك والقضاء وغيرها باستثناء التاريخية منها: ... رغم إشارات بعض

المصادر والمراجع والمجلات على وجودها] لكن كيف التوصل إليها: وقد عثرت على مخطوط نادر يؤرخ في بعض جوانبه لأحداث تاريخية مهمة من مقاومة الصادق بن الحاج 1858-1859م وهو مخطوط "حكمة المغنم في البلوى في جميع النعائم"<sup>(11)</sup> لابراهيم بن الصادق بن الحاج. وهو موضوع المداخلة...

مخطوطات زاويتي لقصر وتبارماسين "مخطوط حكمة المغنم في البلوى في جميع النعائم"

- 1- زاويتي لقصر وتبارماسين: تقعان بجبل احمر حدو قرب بلدة سيدي مصمودي التابعتين لبلدية لمزيرة حوالي 70 كلم من المقر.
- لقصر: <sup>(12)</sup> بلدة لقصر هي المقر الأول لزاوية الصادق بن الحاج 1791-1862 خريج زاوية برج بن عزوز- أخذ الإجازة عن الشيخ ابن عزوز البرجي- فتح الزاوية في مطلع ق 19م- كانت تدرس كل العلوم وتضم حوالي 700 طالب قاوم الاحتلال منذ 1844 إلى غاية أسره 1859 - ووفاته في 1862 بسجن الحراش - أما الزاوية هدمها الجنرال ديفو desveaux والجنرال قاستو <sup>(13)</sup> gustu بعد مقاومة 1858-1859 بالزاب وأحمر حدو والأوراس.
- تبارماسين: المقر الثاني للزاوية بعد إطلاق سراح ابناء الصادق بن الحاج من السجن وعودتهم من المنافي 1872 - بعد رفض الاحتلال الترخيص بإعادة فتح زاوية القصر- درس بها شيوخ امثال الجموعي الزريبي الشيخ باردو....] إستمرت إلى غاية اندلاع الثورة

## 2 - مخطوطات زاويتي لقصر وتبارماسين:

- كان من الصعب الوصول إليها [ بعد محاولات وإلحاح ] لأنها مشتتة التوزيع
- محفوظة بطريقة تمهد قيمتها العلمية إن لم تسارع الهيئات لحفظها [ اصحابها يرفضون تسليمها ]
  - موزعة عبر أحفاد الصادق بن الحاج [ عائلات تبارماسين ]
  - بحوزة بعض الشخصيات التي تقلدت مناصب بالمنطقة [ مصمادة ]
  - بعض المهتمين بتاريخ وتراث المنطقة [ جمعيات و أشخاص ]
  - في شكل مخطوطات كاملة وبعضها عبارة عن بقايا مخطوطات ...
  - بعضها خرج ولم يعد...
  - ضياع بعض النسخ المخطوطة الاصلية، وجود نسخ منقولة لاحقا

- ورود اخطاء في بعض الراجع التي اشارت لمخطوطات الصادق بن الحاج (عدد الصفحات، لا يوجد مخطوط يحمل عنوان علم الفريضة لأنه ببساطة هو احد ابواب مخطوط حكمة المغام

3 - المخطوطات التي اطلعت عليها:

1- مخطوط كامل الكمال: لـ: الصادق بن الحاج، عبارة عن أبواب في التصوف والفقه من 222 ص نسخة احمد بن الطاهر المصمودي في نهاية ق19م (1278هـ) وهو بحوزة [ احد الذين تقلدوا مناصب بالمنطقة ].

2- مخطوط المعراج: لـ: الصادق بن الحاج، في عداد المفقود [ المعلومات الأولية، بحوزة أحد الأحفاد ضمن مخطوطات أخرى... ]

3- مخطوط كتاب المبشرات: لمؤلف مجهول [ يعتقد أنه لأحد شيوخ زاوية الصادق بن الحاج في التصوف وأهمية زيارة الزاوية في الربيع والخريف ] أشار إليه سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي [ (14) ]

4- مخطوط "حكمة المغام في البلوى في جميع الغنائم" لإبراهيم بن الصادق بن الحاج في التصوف و علم الفريضة [ كتاب البداية في علم الفريضة ] ويؤرخ لمقاومة الصادق بن الحاج 1855-1859 [ يضم 159 ورقة- نسخ في نهاية ق19م بعد خروج إبراهيم وعودته من المنفى- الناسخ عبدالله بن خلف الله- كل ورقة تضم 21 سطرا ] خلافا لما ورد سابقا 52ص- 152ص -24 سطر... [ بقدر تناوله لموضوع الدراسات الصوفية، تناول أيضا الجانب التاريخي لمقاومة الصادق بن الحاج ابراهيم ابن الصادق بن الحاج [ الأدهم- من أبناء الصلب ] من مواليد حوالي 1830 ساهم في مقاومة الاحتلال 1844-1859 [ اسر ونفي إلى كورسيكا، كان عمره 30 عاما أثناء المحاكمة 1860 ] (15).

4- أهمية المخطوط:

يؤرخ في بعض جوانبه لمقاومة الصادق بن الحاج 1858-1859 بغض النظر عن اللغة الصوفية المستعملة ومواضيعها [ منها: باب كتاب علم الفريضة ]

- أشار إلى الامتداد الجغرافي للمقاومة [ الزاب- احمر خدو- الأوراس ]  
- أشار إلى الامتداد الزمني: رغم قمع الثورة في 1859 بينما مجلة الأصالة-

العدد 61/60 - أوت ، سبتمبر 1878 ص 207-208 [ امتدت لسنتين إلى غاية 1860 ]

-الإشارة إلى سجن الحراش [ سجنه وعودته ووفاته ودفنه: الصادق بن الحاج 1862] وإلى منفى كورسيكا وسجن كورطا [ص75]  
- أشار إلى وفاة أخيه الغزالي ودفنه بشرشال [ص28]. (16)

### النتائج:

- 1- هذه المخطوطات بحاجة إلى عناية علمية حفاظا عليها أولا قبل تحقيقها من قبل المختصين والهيئات المخولة وتمكين الباحثين منها في ظروف ملائمة.
- 2- مقاومة الصادق بن الحاج وزاويتي لقصر وتيارمسين قدمت أروع الأمثلة في الكفاح الوطني والتضحية والحفاظة على الهوية، لكنك عندما تزور الزاويتين [ أول باحث يصل إلى زاوية لقصر] وزاوية تيارمسين حيث مقام الصادق بن الحاج وأبنائه، فإن الإهمال وصل إلى درجة عدم الاحترام كي لا أقول كلام آخر ...
- 3- أهمية المخطوطات في الدراسات التاريخية ضمن اطار المدرسة الجزائرية في القراءات التاريخية، الى جانب الكتابات والتحليل الاجنبية...
- 4- لا أريد الإسهاب في الموضوع لفسح المجال للمختصين والهيئات المخولة- فدوري إثارة الموضوع فقط في إطار المسح

### الهوامش:

\*- في الموضوع انظر: ابن بريكة، التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان (دار المتون الجزائر: 2006)، ص13.

أيضا: أحمد مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954)، ص

voir aussi...83

epont (octaves)et coppolani xavier, les confreries religieuses musulmans (typographie et lithographie adolphe jourdan, Alger :1897)p193.

ouis rinn, Marabouts et khouans, étude sur lislam en Algerie (jourdan, Alger : 1884) pp60,70.

rosselard (c), les khouans de la constitution, les ordres religieux chez les musulmans en algerie(tissier .alger :1859).

de neuveu (E) les khouans ordres religieux chez les musulmans de l'Alderie (03<sup>eme</sup> edit, Alger : 1931), P39

كذلك: مختار فيلاي، المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر في العهد العثماني (دار الجغرافيكى، بانهة: 1976)، ص57.

ايضا - صلاح مؤيد العقي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطها (ط1: دار البصائر، الجزائر: 2008)، ص217.

(1)- تناولت عديد المصادر والمراجع والقواميس مصطلح الزاب، ويختلف الامتداد اللغوي عن الامتدادين الجغرافي واللغوي، وتعد بسكرة قاعدته. انظر: مخطوط عبد المجيد حبة، تذكرة اولي الالباب. بمخلص تاريخ بسكرة والزاب.

(2)- نسبة للشيخ المختار بن خليفة بن عبد الرحمان صاحب الزاوية المختارية بأولاد جلال التي تبعد عن بسكرة المقر بحوالي مئة كم. انظر: عباس كحول، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي 1859 1849 م (رسالة ماجستير)، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، 2012، ص74.

(3)- هي زاوية علي بن عمر التي تأسست في 1870 وتبعد عن بسكرة بحوالي 40 كم. انظر: علي الرضا الحسيني، زاوية علي بن عمر - طولقة (الدار الحسينية، تونس: 2002)، ص51-53.

(4)- تبعد عن بسكرة بحوالي 108 كم بالزاب الغربي، حيث زاوية ابن الجروني والتراث العريق.

(5)- يقعان باقصى الزاب الشرقي، حيث آلاف المخطوطات باعتبارها حاضرة ثقافية تاريخية.

(6)- حيث مقام الولي الصالح والمسجد ببسكرة القديمة.

(7)- زاوية تأسست بعد اطلاق سراح ابناء الصادق بن الحاج من السجن وعودتهم من المنافي 1872، ورفض الاحتلال الترخيص بفتح زاوية لقصر. ينظر: عباس كحول، المرجع السابق، ص83.

Voir aussi :daniel jemma gouzou,village de Laures.archives de pierre (l,harmattan, paris :1989) p46.

(8)-اودعها صاحبها بمكتبة الجامعة الاسلامية الامير عبد القادر بقسنطينة.

(9)-محافظة مديرية الشؤون الدينية باتنة.

(10)-تعرض بعضها للضياع ،ويحتفظ لعل ع المجيد حية بمكتبة غنية بالمخطوطات متاحة للباحثين.

(11)-انظر الملحق:الصفحة الاولى والوسطى والاخيرة من مخطوط حكمة المعام

(12)-بلدة بجبل احمر حدود،حيث المقر الاول لزواوية الصادق بن الحاج.ينظر:صلاح مؤيد العقبي

،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر،تاريخها ونشاطها(دار البصائر،الجزائر : 2009)،ص279، 280 .

(13)-ديفو،فاسي:من جنرالات الاحتلال، اشرفا على قمع مقاومة الصادق بن الحاج وتدمير بلدة

وزاوية لقصر 1859،وخلدا اعمالهما الوحشية على نقيشة صخرية بالمنطقة.انظر:ع الرحمان تيارماسين،سي

الصادق بن الحاج الانتفاضة الكبرى 1844،1859 (ط1،جمعية الشروق،باتنة:2004)،ص10

(14)-ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، ج7،1830،1954 (عالم المعرفة،الجزائر: 2011)،ص

. 130

(15)-فوزي مصمودي،اعلام من بسكرة، ج2 ( مطبعة الفجر،بسكرة: 2010)،ص26 - 37.

(16)-عباس كحول،المرجع السابق،ص 143، 144. ينظر ايضا:ع القادر زبادية،"وثيقتان عن ثورتي

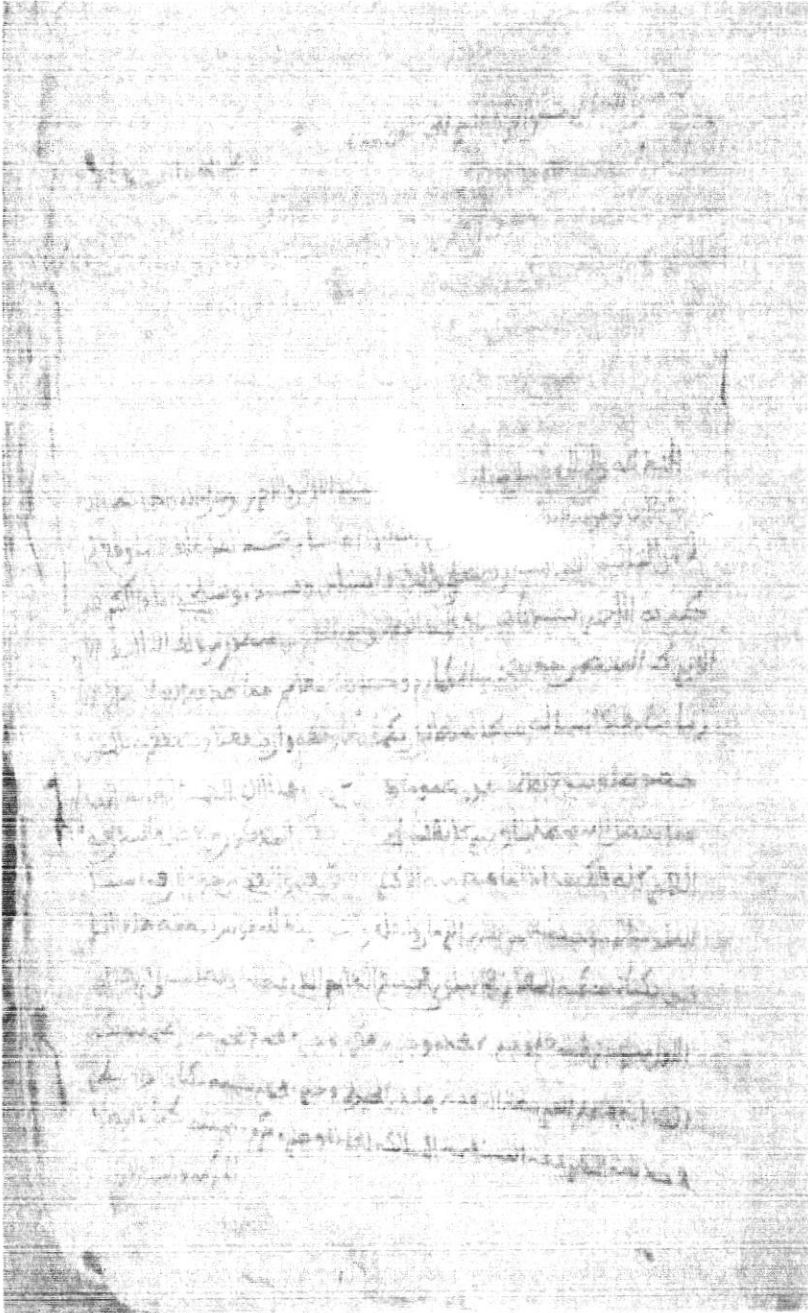
الاوراس لسني 1860، 1879، 1859م "مجلة الاصلية،ع61،60 (اوت،سبتمبر 1978)،ص207، 208 .

Voir aussi :abdelhamid zouzou,Laures au temps de la France coloniale1837-1939(edit,houma,alger :2002)p269 .

الملاحق:

الصفحة الاولى والوسطى والاخيرة من مخطوط "حكمة المغام في البلوى في جميع

النعائم" لابراهيم بن الصادق بن الحاج





بعضه لخصه كما حال ينظر له لثبته ونماضه ولا يغيره الا في بعض الاماكن  
والمنسوبة اليه بنسبته في الابل كغيره من الثنائي وعقدت فيه  
والعضا والحد بالوما النبي في ذلك واما فستون في غيرها فغير ذلك المثل الذي  
لونه الخمس كما هو في سائر النعمان في الاخرى وهو نار عينه وخراسا ووق  
في حمله المنيح البركة واما الحظفة فسيه في هذه العا وروبوته وطور  
عائنه كما هو على حيين ما اذا ما يتبع لله وترسوله في عده وعلية البركة  
حارت فيه الصلاة والحياء والحق وحقيقة التي فيها ومساها بطلت  
السرقة والحياة في نزلت فيه البركة والعبادة والرخا وما في الخمس  
من كل الهبة من الطفال فيه لا يستقر فيهما انما في سر حارق اشهرت  
ويكافيه اللؤلؤ ويحول الطائر ويستف فيه اخدمة ومن مرهنة في  
يتم الى اسمها ما حقا في الخمس بعثهم في الشئ ويرفعه في جو  
الخمسة في ذلك بكله صنع احبابة وانما عليه بالخص في ذلك في اسر اسبق  
وصار السور حدة في جود الجمعية مع كاحاجة في حبه ومساها في حدة  
في جود لقا و حارت الحما في سر في جود خارج الخمس في حبه ويطور في الربار  
الذئب او حواصه البلك كصحة في حدة الى النبي و احبابة في حبه في حدة  
له في حدة في حدة ولا يستلها في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة  
في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة  
انواع الاحياء في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة  
في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة في حدة

[The text in this block is extremely faint and illegible, appearing as a series of horizontal lines of noise.]